مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد7،العدد 2 – جوان 2020

البُعد التّداولي في بِنيّة الخِطاب الأدبي – قصيدة اللّغة العربيّة لحافظ إبراهيم أنموذجًا–

the pragmatics dimension in thestructure of discourse literarys - peech corpus of the poem (arabic language);hafezibrahim -

د. يوسف نجعـوم،جامعة أم البواقي،الجزائر.
youcefnedjaoum@hotmail.fr

تاريخ التسليم:(2020/02/01)، تاريخ التقييم:(2020/03/25)،تاريخ القبول:(2020/04/16)

ملخص :

لم تعد اللّغة منحصرة داخل سياج مستويات النّص؛بل تعدتها في عصرنا إلى مستويات أخرى هي أكثر دقة وتعقيدا؛ خاصّة مع ظهور التّحليل التّداولي الذي حقّق عِدّة نجاحاتٍ وفتوحاتٍ في الدّراساتِ النّقديّةِ المُعاصِرةِ؛ إلّا أنّ تقاطعه مع كثيرٍ من العلوم والمعارف؛ جعلته يعرف عِدّة تعقيدات وكَمّ من المصطلحات.

ومنه كانت هذه الدّراسة التي تهدفُ إلى تيسير هذه المقاربة بتقديم أنموذجٍ لتحليل تداولي لنص أدبي؛قد ييسّر للباحث والدّارس معًا الولوج إلى هذا التّحليل.

الكلمات المفتاحية:بعد تداولي؛ بنيّة الخطاب الأدبي؛ قصيدة اللّغة العربيّة؛ حافظ إبراهيم.

Abstract :

Language is no longer confined to the studies limited at the levels of text; it goes beyond these levels and reaches limits that are more accurate and more complex, especially with the emergence of pragmatics that achieved several successes and breakthrough in contemporary critical studies.

This study aims to facilitate this approach by providing a model for pragmatics of the argumentative literary text; may facilitate the researcher and the student together to access this analysis.

Key words: Pragmaticsdimension;structure discourse literary; poem of the Arabic language; Hafez Ibrahim

* المؤلف المراسل: د. يوسف نجعـوم ،الإيميل: youcefnedjaoum@hotmail.fr

مقدمة:

لا يزال الخطاب يمثل أهم وسيلة للإقناع والتأثير قديما وحديثا؛ لما يمتلكه من قوة في توجيه الرّأي العام المحلي والوطني والدولي؛ وقد تفاقم دوره في الزّمن المعاصِر، بعد أن تَعو لَم فيه الكَونُ والمتلقي معًا؛ من خلال الانفجار المعرفي والتّطور الإعلامي والتكنولوجي، فأصبح أكثر خطورة وفعّالية من ذي قبل؛ فأُنشئت بذلك بلاغة جديدة خصيصًا للتّواصل والتّبليغ والتّأثير والتّحليل؛ تساير هذا التّطور المعرفي الرّهيب؛ تعرف كمصطلح ب(التداولية)، إلا أنّ تقاطع هذا المنهج مع شتّى المعارف العلميّة والمعرفيّة أوقعَه في رُكامٍ من المصطلحات والتّصورات؛ جعلت كثيرا من الدّارسين في عُسرٍ من تحليل نص أدبي بهذه المقاربة. ومنه كان السؤال الجوهري: ماهي الطريقة الأنسب والخطوات الأيسر التي تمكننا من تحليل نص أدبي بمقاربة تداولية؟ وكيف تساهم هذه العناصر اللغوية والمعرفية في فهم الآليات الحجاجيّة والتواصليّة ؟.

وعليه فنحن نحاول تقديم اقتراح أنموذج تحليل مُيسّر لنص أدبي، مبسّط لعناصر التحليل التداولي في بنيته الداخلية والخارجية والحجاجية، من خلال معالجة شروط التبليغِ والتواصلِ الذي يقصدُه المخاطِب، مع ضَرورةِ مُراعاةِ أبعادهِ الثّلاثةِ المكوّنةِ للخطاب: البعد التركيبي والبعد الدلالي والبعد التداولي؛ وهو عملٌ موجّهٌ إلى كل مشتغل في الجانب التطبيقي لبلاغة النص الأدبي والتداولي في بنائه المُتكامِل؛ خِدْمة للغاية المعرفيَّة الَّتي نَتوخَّاها من تحليل الخِطاب بعيدًا عن التّعقيدات الاصطلاحيّة والتّصورات الهامشيّة اللتين تعكران تحليله.معتمدين في ذلك على جانب نظري ودراسة تطبيقيّة ثم خاتمة البحث،مع الاستعانة بعدّة مصادر ومراجع معرفيّة منها على سبيل الذكر لا الحصر: المقاربة التداولية لـ: فرانسواز أرمينك؛استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية لـ: عبد الهادي بن ظافر الشهري؛ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر؛ لـ:محمود نحلة؛ نظرية أفعال الكلام العامة _ كيف ننجز الأشياء بالكلام_ لـ: أوستين، وغيرهم.

2. التداولية وتحليل الخطاب:

ظَهرت التّداوليّةُ في العَصْرِ الحَديثِ بشكلٍ واضِحًا مِنْ خِلالِ مَا أنْجزَه الفيلسُوفُ الإنكليزيّ أو ستنفي العَقدِ السّابعِ من القرنِ العشرين، إثرَ صُدورِ كِتابِهِ المَوسُومِ بـ :(كيف نصنعُ الأشياءَ بالكلمات)، فتحدّدَت التّداوليّة عنده على " أنّها جزءٌ من دراسةِ علمٍ أعمّ: هي دراسةُ التّعاملِ اللّغويِّ من حيثُ هي جزءٌ من التعاملِ الاجتماعي"(ارمينكو، 1986، ص. 96)؛ هذه النّظريّة التي تزَعّمَتْها بعده مَجموعةٌ من الباحثين من فلاسفةِ اللّغةِ المنتمين إلى التّراثِ الفلسفيّ لجامعةِ أوكسفورد وهم : أوستنAustin، وسيرل Searle، وجرايس Grice "(الشهري، 2004، ص.21)؛كان لهؤلاء الفضل في فتح أفاق جديدة في الدّراسات اللّغويّة وتطويرها من البحث البنيويّ واللّساني إلى مقارباتٍ أوسع وأشمل؛ مع مُراعاة لأبعادِه الثّلاثةِ

المكوّنةِ لَهُ وهي:" البعدُ التركيبي ويهتم بدراسة علاقة العلامات بعضها ببعض، والبعد الدلالي ويدرسُ علاقةَ العلامةِ بالواقعِ، في حين نجد البعد التّداولي يهتمُّ بدراسةِ علاقة العلامة بمستعمليها وبمجالات استعمالِها ونتائجِها "(الشهري، 2004، ص.21)، والتي يمكنُ توضيحها في الجدول الآتي:

اهتمامات التداولية	العناصر المشتركة	اهتمامات تحليل الخطاب
⇐	ـ تحليل الخطاب المكتوب والمحكي. ـ دراسة النص مهما كان حجمه. ـ السياق بكل عناصره. ـ دراسة البعد التركيبي و البعد الدلالي والبعد التداولي.	⇒

وهذا يعني أن العلاقةَ وطيدة بين التداولية وتحليل الخطاب ،"فكلٌّ منهما يهتمُّ أساسًا بتحليل الحِوار، ويقتسمان عددا من المفهومات الفلسفيّة واللّغوية كالطريقة التي توزّع بها المعلومات في جملٍ أو نصوصٍ والعناصر الإشارية، والمبادئ الحواريّة"(نحلة، 2002، ص.11)،وعن هذا التَّيارِ التداولي ؛ نشأت وتفرعت تياراتٌ أخرى معرفية ؛خاصة وأنها بلاغة جديدة اقترنَت بجملةٍ من الحقول المعرفية ، والعَناصرِ التواصُليّةِ إذ يُمكِنُ توضيحُها فيما يأتي:

النظرية والاتجاه	اهتماماتها
– الاتجاهات النفسية والتاريخيّة:	_ المتكلم
_ البنيويّة والسيميائيّة والتفكيكيّة:	_ النص
_نظريّة التلقي والقراءة :	_ المتلقي
_التّداوليّة:	_ اهتمامها بكل عناصر التواصل

1.2 علاقة التداوليّة بالخطاب الأدبي:

علاقةُ التّداوليّة بالخطاب الأدبي هي علاقةٌ وطيدةٌ كما سبق ذكره، فقد تحولت التّداوليّة من المجال اللغوي والمنطقي والفلسفي إلى الأدب، وأصبحت تعرف بـ :التداولية الأدبية، أو ما يعرف اليوم بالذرائعيّة الأدبيّة؛ وعليه أصبحت الدراسات النقدية الحديثة تجعل من اللغة الأدبية نظاماً معقداً للاتصال، يتجاوز مستويات الصياغة اللفظية والنصيّة إلى دراسة الحدث الأدبي؛ أي الانتقال باللغة الأدبيّة من مستوى النّص كنظامٍ لغويّ إلى مستوى التّواصُل.وتعود بوادر هذا الانتقال إلى ضرورة فهم النّص انطلاقاً من ارتباطِه بالسّياقات وتحديداتِهمن خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المهمّة من مثل التي

طرحها فرونسواز أرمينكو: "ماذا نصنع حين نتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟...من يتكلم إذن؟ وإلى من نتكلم؟ "(ارمينكو،1986، ص.7)؛ ونتيجةً لهذا الطرح، يمكن حصر أهم العناصر والركائز التي تهتم بها التداوليّة في معتقدات المُتكلّم وشخصيّته وتكوينه الثقافي ومقاصد الكلام،والمشاركين في الحدث الخطابي، بالإضافة إلى المعرفة المشتركة بين المتخاطبين فيما يعرف بمبدأ التّعاون والظّروف المكانيّة والزّمنية والعلاقات الاجتماعيّة بين الأطراف؛ أي السّياقات، ومن هنا فإنّ أشمل تعريفٍ للتداوليّة كما- نراه - هو فيما أوجزه محمود أحمد نحلة: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل "(نحلة، 2002، ص.14)؛ وذلك لكونه يتمثل في تداول اللّغة بين المتكلّم والسّامع في سيّاق مُحدّد.

تعدّ دراسات (فان ديك)من أهم أعمال النّظريّة التّواصليّة في النّقد المعاصر "حيث إنّه وضع تخطيطاً من ناحيّة البرنامج للذرائعيّة الأدبيّة بوصفها مُكملاً لا فكاك عنه لنظريّة النّص"(خوسي، 1992، ص. 76)؛ ويمكن اعتبار " عام1979تاريخاً حاسماً في تحوّل "فان ديك"من علم الدّلالة إلى نظريّة أدبيّة عامّة تشتمل على نظريّة للنّصوص الأدبيّة ونظريّة للتّواصل الأدبي" (خوسي،1992،ص.76)؛ولئن أقرّ الباحثون التّداوليون بـ "اختلاف الخطاب التّواصلي عن الخطاب الأدبي في مستوى علاقة الخطاب بالواقع، أو كيفيّة إحالته على السّياق ودرجة حضور عناصر المقام فيه، فإنّ هذا الاختلاف لا ينفي أن يكون للنّص الأدبيّ مقامه أو سياقه الخاص به؛ على اعتبار أنّ الوظيفة الشّعريّة هي الوظيفة المهيمنة على الوظائف الأخرى؛ ومن ذلك أيضًا النّقد التّداولي الموجّه إلى ريكاردو Ricardo؛ لتمييزه بين الخطاب الأدبي والخطاب الإبلاغي"(خوسي،1992، ص.333) يمكن توضيحه على النحو التالي:

هدف الخطاب الإبلاغي أو التواصلي	هدف الخطاب الأدبي
_ اللغة وسيلة وقناة.	_ اللغة مادة وموضوع.
_ هدفه الإخبار.	_الدفع والإثارة والتشويق.
_ التبليغ هدفه توصيل موضوع معين.	_ أدبية اللغة والموضوع.
_ يقلّفيه الخيال؛لاعتماده _غالبا_ على الأسلوب المباشر.	_ كثرة الخيال؛ لاعتماده على الأسلوب غير المباشر.

ومنه أصبحت الذرائعيّة الأدبيّة مقياساً للحكم على أدبيّة الأعمال الفنيّة والشّعريّة، تتحدّد من خلالها بإنتاج واستقبال الخطاب؛بعيدًا عن الخصائصِ البنيويّة واللّسانيّة التي تُضيّق مجال الدّراسة والفَهم؛ لتعرفَ الذرائعيّة تطوراتٍ أخرى في مراحل متأخرة جداً عُرفت بنظريّة السّياقات؛" إذ دعا (ماكس بلاك) إلى تسميّة التداوليّة بـ:"النظريّة السّياقيّة؛ التي تبحث في سيّاق الإنتاج والاستقبال، ثم إلى نظريّةٍ في الأفعال الكلاميّة"(ارمينكو،1986، ص.12)، وقد كان من أهمّ أعلامها في النّقد المعاصر: (فان

ديكغرايس، أوستن، سيرل، جون ديوي...). وعليه فإنّ هذه العناصر التي سأعرضها لا ترتكزُ على مظاهر اللّغة الدّاخليّة الصّرفيّة أو التّركيبيّةأو الصّوتية أو غيرها،بصفة مطلقة، بقدر ما تحاول المزج بين عناصر اللّغة وعناصر السّياق،وكلّ ما كان سبَبًا في نجاح العمليّة التّبليغيّة والتّواصليّة، مع الإشارة إلى إنّ هذا الاهتمام في حدِّ ذاتِه غير موحّدٍ ولا مُنسَجمٍ ، انعكس عنه وجود تداوليّات كثيرة منها:" التّداوليّة الاجتماعيّة التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللّغوي الاجتماعي، والتّداولية اللّغوية التي تدرس الاستعمال اللّغوي التّركيبي والتّداولية التّطبيقيّة التي تعنى بمُشكِلات التّواصل في المواقف المختلفة، والتّداوليّة العامّة وتعنى بالأسس التي يقوم عليها استعمال اللّغة استعمالاً اتصاليّا" (نحلة، 2002، ص.15)؛مما يمكن القول:إنّ النّص بصفة عامّة أو الخطاب الأدبي بصفة خاصّة؛ استفاد بعدَدٍ من المقاربات والنّظريات والمَناهج ،خاصّة تلك التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحَداثةِ؛ ومن أهمّ هذه المقاربات؛ المقاربة التّداولية بكل تيّاراتها الحجاجيّة والمنطقيّة واللّغويّة،والتّخاطبيّة والتّداوليّة،والسّياقيّة؛كل هذا استدعى الكثير من الباحثين أنْ يتساءلوا : هل نحن أمام تداولية أم تداوليات؟ وهل التداوليّة تخصّصٌ واحدٌ أم ملتقى تخصصّات مختلفة؟. وهنا تكمن صعوبة تطبيق التداوليّة، من خلال وجود تصورات تداوليّة عدّة حول النّص والخطاب الأدبي؛ وعليه فإنّ هذه العناصر التي سأعرضها، تحاول المزج بين عناصر اللّغة وعناصر السّياقاتِ المرتبطةِ بقطبي الخطاب المُتكلّم والمُخاطَب، وكلّ الظّروف التي كانت سببًا في نجاح العمليّة التبليغيّة؛ ونحن مع ذلك لن نضيف جديدًا إلى النّظريات التّداوليّة؛ إنّما سنعيد تنظيم بعض المفاهيم استجابةً للغايات التي من أجلها وُضِعت؛ لتيسير إجراءاتِها.

1. التّحليل التّداولي للقصيدة:

_ من قصيدة اللغة العربية لحافظ أبراهيم (إبراهيم،1987، ص.235)

1.3 _ دراسة البنيّة الخارجيّة للخطاب:

تعتمد هذه الدّراسة _عموما_على الرّموز الإشاريّة؛أي التّعابير المُبهمَة ضمن ظروف استعمالها والسياق

1) رجَعْتُ لنفْسِي فاتَّهمتُ حَصـــاتِي::::ونادَيْتُ قَوْمِي فاحْتَسَبْتُ حـــياتِي
2) رَمَوني بعُقمٍ في الشَّبـــابِ ولـــيتَني:::: عَقِمتُ فلم أجزَعْ لقَولِ عـــِداتـي
3) وَلَدتُ ولمَّا لم أجِدْ لعـــــرائسي :::: رِجالاً وأَكـــفاءً وَأَدْتُ بنـاتِـــي
4) وسِعتُ كِتابَ اللهِ لَفظاً وغـــاية:::: وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِـــظاتِ
5) فكيف أضِيقُ اليومَ عن وَصـفِ آلة:::: وتَنْسِيقِ أسمـــاءٍ لمُخْـتَرَعـــــاتِ
6) أنا البحر في أحشائه الـــدّر كامن:::: فهل سألوا الغواص عن صـــدفاتي
7) فيا وَيحَكُم أبلى وتـــــبَلى مَحاسني:::: ومنْكمْ وإنْ عَزَّ الدواءُ أســـــاتِـي
8) فلا تَكِلُـوني للـــــزّمانِ فإنّـــني:::: أخافُ عليكم أن تَحينَ وَفـــــاتي
9) أرى لرِجالِ الغَـــربِ عِزّاً ومَـــنعَة:::: وكم عَزَّ أقـوامٌ بـعِزٍّ لُـغـــــاتِ
10) أتَوْا أهلَهُم بالمُعـــجِزاتِ تَفَـــنُّناً:::فيا ليتَكُمْ تأتـــونَ بالـــــكلِمـاتِ
11) أيُطرِبُكُم من جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ ::::يُنـــادي بِوَأدي في رَبيـعِ حَيـــاتي

الوجودي الإحالي، وهم: " المخاطبون ومحددات الفضاء والزمن " (ارمينكو،1986، ص.38)، وهذا يستلزم منّا الحديث عن المعينات بوجود أطراف التّواصل، وفعل التّلفظ.

1.1.3_السّياق المَقامِي للخِطاب:

السّياقُ في هذا الإطارِ هو مجموعةٌ من العناصرِ الطّبيعيّةِ والاجتماعيّةِ والنّفسيّةِ والثّقافيّةِ والتاريخيّةِ والدينيّةِ..،التي تشكّلُ عالمَه،والمقاصد الأساسيّة المُساهمَة في تكوينه، وكذا في فهم وتأويل المَقصد الذي يحتويه.

يذهب (براون ويول)إلى إنّ " محلّل الخِطاب ينبغي أن يأخذَ بعين الاعتبار السّياق الذي ورد في مقطع ما من الخِطاب "(براون ويول،1997، ص.35)؛ لهذا كان للسّياق دور بارز في تجليّات معاني الخِطاب، ومعالأخذ بتقسيماته المتمثّلة في " السّياق اللّغوي،السّياق العاطفي، سيّاق الموقف، والسّياق الثّقافي"(جاد الرب،1985، ص.148) .فما هو سيّاق هذا الخطاب؟ وما دوره في عمليّة الفهم ؟ .

2.1.3 _موضوع الخطاب (المناسبة):

ينتمي المخاطِب(الشاعر) حافظ إبراهيم إلى المدرسة الإحيائيّة التي تعمل على إحياء التّراث العربي المناوئ للتوجّه الثّائر على التّراث العربي، خاصّة المجدّدين منهم والمتأثرين باللّغات والثقافات الأجنبيّة .

ظهر المرسِل ُفي هذا الخطاب مُدافعًا ومنافحًا عن اللّغة العَربيّة؛ لما تمثله هذه اللغة مِن إرثٍ ثقافيّ وأدبيّ وتراثي وحضاري، في وقتٍ كثُر حولَها الهَمس واللّمز في الأوساط النقديّة والرّسميّة والأدبيّة، فاستفحل الخلافُ وطغى التّمرّد عليها؛ ففريقٌ يؤهّلُها لاستيعاب الآداب والمعارف ومختلف العلوم الحديثة، وفريق جَحودٌ يتّهمها بالقصورِ والضّيق عن استيعاب هذه العلوم؛ فنظم الشّاعرُ هذه القصيدة صارِخًا بوجوه أولئك المتهامسين والدّاعين لوأدها في ربيع حياتها؛ بأن يعودوا إلى عقولهم، ويدركوا خزائنَ لغتهم، وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها، مخاطبًا قومَه على لسان اللغة العربية.

3.1.3_ الزّمَن :

ينتمي زمن ومكان إلقاء الخطاب إلى أدبِ العصر الحديث بمصر، ويظهر هذا من خلال "سنة نشر القصيدة 1921 بمصر"(إبراهيم،1987، ص.235)؛وكذا "مولد الشاعر حافظ إبراهيم1872 "(إبراهيم، 1987،ص.14)،إضافةً إلى الخلاف الأدبي والنقدي الذي وقع في تلك الفترة بين أنصار النّقد التّجديدي والنّقاد المحافظين بمصر والعالم العربي.

لقد أظهرَ حافظ إبراهيم حيثيات الزّمن في خِطابِه؛ بغرضِ إفهامٍ أوضحٍ، بما أعدّه للقارئ والمتلقي من عناصرٍ وصيغٍ دالةٍ على خُصوصيتِه، وبكلّ ما يتحكّم في ترتيبِ مكوناتِ الخطابِ، وهذا ما يعرف بـ: السّياق التداوليّ. إلاّ إنّ ما نلاحظه في هذا النّصّ أنّ المُبهمات الزّمنيّة قليلةٌ باستثناء ما ورد في قوله:(اليوم) في البيت الخامس؛ نظرًا لاعتماد المخاطِب على أزمنةِ أفعال الماضي والحاضر والمستقبل؛والموظّفة في عمليّة استرجاع الأحداث في الفقرة الأولى؛ لكونها شحنة حِجاجيّة قويّة لها تأثير بالغٌ على المتلقي؛في حين وُظّفت في الفقرة الثّانية؛ لتقديم الحلول والنّتائج كما نوضّحه في الجدول التالي:

الزمن الماضي	الزمن الحاضر و المستقبل
_رجعت... فاتَّهـمتُ _ ناديت..	_أضِيقُ اليومَ ... فهل ..سألوا
فاحْتَـسَبْتُ... رموني...ليتني عَقِمتُ فلم	الـغواص.... وَيحَكُم أبلى وتَبلى ... فلا
أجـزَعْ _ ولدت.. وَأَدْتُ _ وسعت...وما	تَكِلُوني للزّمانِ ... أخافُ عليكم أن
ضِقْتُ أيُطرِبُكُم ناعِبٌ يُنـــادي بِوَأدي	تَحـــــينَ وَفاتي .....أرى لرِجالِ

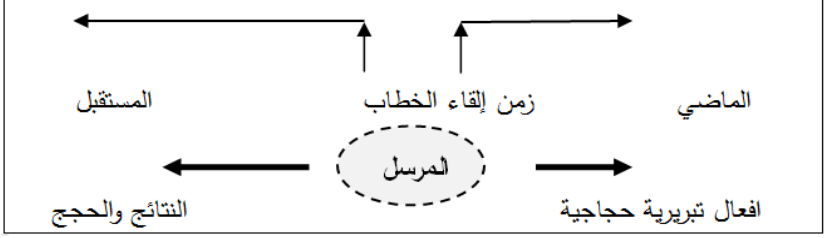

4.1.3_ السِّياق الإشاري للخطاب (الضّمائر):

إنّ مُصطلحَ الضّميرِ شائعٌ في التّراث اللغوي العَربي، وهو عند القدماء:"اسمٌ جامدٌ يدلّ على متكلّم أو مخاطَب أو غائب "(عباس، 2003، ص. 196)،وتعدّ الضّمائر منأهمّ وأبرز العناصر اللّغويّة التي يتحدّد معناها في إطار المَقام؛لهذااهتمّ المنهج التّداولي اهتمامًا كبيرًا بها لكونها تدخل في نسيج البنيّة العميقة للخطاب، فقد تمثلت الإشاريات في هذا الخِطاب على نحو ثلاث: ضمائر المتكلم [أنا]، وضمائر المخاطب [أنتم]، وضمائر الغائب [هم].

فأمّا ضمائر المتكلّم؛فقد وظّفها المُرسل للخطاب على لسان اللّغة العربيّة التي جعلها شخصًا يتكلّم عن نفسِه؛ موظفًا الضّمير [أنا]، الذي يحيل إلى اللغة العربية على ثلاثة أشكالٍ : منفصلة:[أنا]،أو متصلة:[رجعت... فاتَّهم تُناديت.. فاحْتَسَبْتُ...ليتني عَقِمتُ] ، أو مستترة :[أجـزَعْ]؛وكلّها تعود على المرسِل [اللّغة العربية].

أمّا ضَمائِرُ المُخاطَب[المُرسَل إليه]،فمن البديهي أنّ تلفّظَ اللّغة العربيّة باستخدام الضّمير [أنا]؛ كمُرسِلٍ للخطاب على لسان المُرسِل(الشّاعر)؛ يستلزم وبطريقةٍ آليةٍ وجودَ شخصٍ أو أشخاصٍ يقابلونَه في خطابِه ؛ يُعرف بـ[المرسَل إليه] الذي يشير إلى أهل اللّغة العربيّة؛ مستخدمًا الضّمير [أنتم]؛أو أيّ شكلٍ من أشكال هذا الضّمير، وقد توجّه المُخاطِب بإلقاء اللّوم على العرب أهل اللّغة العربيّةعامّة، والمتلقي للخطاب خصوصًا، باستعمال أشكال أخرى من هذا الضّمير، في قوله:[وَيحَكُم]؛[منْكمْ]...، [ميم] الجماعة و[كاف]الخطاب، وكلّها تعود على المتلقي أهل اللغة العربيةويُعدّ هذا الضّمير مِحور موضوع الخطابِ وأساسه.

أمّا ضمير الغائب وعلى الرّغم من أنّ التداوليين لم يعتدّوا به كثيرا؛ لكونه ليس من ضمائر الحضور، إلاّ إنّه يمكن التّعرّف عليه بسهولة من خلال السّياق والأحداث التي قيلت فيه، فالمخاطِب قد وضّح هذا الضّمير الغائب في قوله:[أتَوْا أهلَهُم]؛حين سبق هذا الضّمير بما يشير إليه في قوله: [أرى لرِجالِ الغَربِ]،فالضّمير يحيل إلى الغرب؛ وقد ورد في سياق دلالي غرضه المقارنة والمفاضلة بين الغرب والعرب.

4 _ دراسة البنيّة الداخليّة للخطاب :

نعتمد في دراسة البنيّة الداخليّة للخطاب الإقناعي على مجموعةٍ من العناصر التي يمكن إدراجها ضمن الأفعال الكلاميّة؛ كآخر مرحلةٍ توصّلت إليها الدّراسات التداوليّة وهي: ترتيب أجزاء القول، والأفعال الإنجازية، وسائل الإقناع والبراهين، والأسلوب والبناء اللغوي...؛ونظرًا لتداخل هذه الدّراسات وتكامل وظائفها في النّص، فإنّنا نفضّل التّحليل الشّامل لها؛ مرتبةً بدءًا بتحليل طبيعة وموضوع الخطاب، ثمّ رصد الأفعال الإنجازيّة لها(Acte illocutoire)؛ على مستوى بنيّة الخطاب الدّاخليّة والخارجيّة، بتطبيق مشروعي (أوستين) و(سيرل)،خاصّة في كتاب أوستين (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ومن خلال ذلك سيكون تحليلنا للأفعال الكلامية مُركّزا على ما في هذه الأفعال من العناصر المشكلّة لها: الفعل الإسنادي والفعل الإحالي والفعل الدلالي والفعل الإنجازي؛ مع العلم أنّ هذه التصنيفات"ليست أفعال اثلاثة يستطيع المتكلّم أن يؤديها واحدة تلو الأخرى؛ بلهي جوانب لفعلٍ واحدٍ " (نحلة، 2002، ص. 67)،أما النوع الثاني؛أي(الفعل المتضمن في القول)؛فهو الفعل الإنجازيالحقيقي،إذ إنه "عملينجزبقولما،وهذاالقِسْمهوالمقصودمننظريّةالأفعالالكلاميّةبرمّتها"(صحراوي، 2005، ص. 56)؛ف(أوستين)، قد عمد في كثيرٍ من الأحيان إلى تسميّة نظريّته بنظريّة "الفعل الإنجازي أو النّظرية الإنجازيّة"(أوستين،1991، ص. 17)؛ ولكون هذا الفعل " هو ما يؤديه الفعل اللّفظي من وظيفةٍ في الاستعمال ومن معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي " (آن روبول و جاك موشلار، 2003، ص. 3)، فإنّ الفعل الإنجازي يرتبط عنده ارتباطًا وثيقًا بمقصد المتكلّم؛ ولهذا يقوم مفهوم قصد المتكلّم الذي يعبّر عنه بالإنجاز، بدور مركزيّ في نظريّة الفعل الكلامي؛مبيّنا من خلاله نوعيّة الفعل الكلامي الصّريح منه والضّمني؛مع محاولة تأصيليّة لتجليّاته في مباحث البلاغة العربيّة. وسيكون للعنصر الأخير"الفعل الإنجازي"النّصيب الأوفرفي هذا التّحليل،ولكون هذا التّصنيف لا يمكن تعميمه كلّه على جميع اللّغات؛ لأنّه يتطلّب بعض التعديل كلّما انتقل من لغة إلى أخرى؛ لذلك فإنّنا نضطرّ _في هذه الحالة_ إلى إدخال بعض التّغييرات حتّى تتماشى وخُصوصيّة اللّغة العربيّة، معتمدين في ذلك على دراسات بعض الباحثين التّداوليين العرب، وكذا ما جادت به مباحث البلاغة العربيّة في هذا الميدان.

1.4_ تحليل الأفعال الكلاميّة:

إنّ نظريّة أفعال الكلام هي جوهر التّداوليّة أو لنقل: "هي النظريّة بكاملها"(صحراوي، 2005، ص.4)؛ لكونها تهدف أساسًا إلى دراسة الفعل بوصفه حركة وفعلا وإنجازا،وعلى اعتبار أنّ الخطاب الأدبي والخطاب الإرشادي على الخصوص_ في معظمه_ حمّالُ أوجهٍ؛ إذ يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أصنافٍ بحسب درجة المتلقي، وحسب الرّسالة الموجّهة إليه؛ " فإمّا أنْ يكونَ المتلقي خالي الذّهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، وهذه الحالة تقتضي خطابا تعليميًا، وإمّا أنْ يكونَ غافِلا عمّا ينتظره، متناسيًا لما تعلّمه،فيكون الخِطاب خطابًا وعظيًا، وإمّا أن يكون مخالفًا جاحِدًا لوجهة نظر المُرسِل؛ فالحالة هنا تقتضي خطابا حجاجيا(العمري، 1999، ص. 36)،كما نوضحه في الجدول الآتي :

خطاب تعليمي	خطاب وعظي	خطاب حجاجي
_ المتلقي خالي الذهن	_ المتلقي غافل متجاهل	_ المتلقي مخالف جاحد

ولكون المتلقي غافلاً متجاهلًا في هذا الخطاب؛حسب السّياق المشار إليه في السّابق؛وما يحمل في مضمونه من نصائحٍ وتوجيهات وإرشادات،إضافة إلى تواجد الكثير من الصّيغِالخبريّةِ والإنشائيةِ، والأساليب التلميحيّة التي تندرج ضمن الأفعال الإنجازيّة والتأثيريّة؛ فإنّه يمكن تصنيف هذا الخطاب ضمن الخطاب الإرشادي الحجاجي؛خاصّة وأن (أوستين) قد" صنّف النّصحَ والوصيّة والوعظ ضمن الإنجازات؛ بعد أن قسّم الفعل الإنجازي إلى ثلاثة أقسام:فعل القول،الفعل الإنشائي، الفعل التأثيري" (آن روبول وجاك موشلار،2003، ص.31). ومع كون الفعل الإنجازي يشتمل على أمر زائد هو فعل (القوة Force) التي للقول؛ فإنّنا بالعودة إلى الخطاب الشّعري؛نجد أن المخاطِب قد استوفى ترتيب أجزاء القول وأفكاره لما يستلزمه المتلقي المخالف والجاحد،من مختلف الحجج، والبراهين؛لغرض الإقناع والتأثير ثم التوجيه،والتي وردت أقسامه على الشّكل التّالي :

ـ القسم الأول [1...5] :صدمة اللّغة العربيّة من ظلم أبنائها لها.

ـ القسم الثاني[6...10]: تمجيد اللّغة العربيّة لما تمتلكه من خصائص .

ففي عموم القسم الأول من الخطاب (القصيدة)؛ اعتمد المخاطِب على الأفعال التقريرية (Assertives) والأفعال البوحيّة(EXPRESSIVES)؛اللذين يهدفان إلى تقرير حقيقة أوجملةٍ من الحقائق؛يتعهّد المُرسِل بدرجاتٍ متنوعة بأنّ شيئًا ما هو واقعة حقيقيّة وصادقة ومزوّدة بالشّروط الملائمة؛ وهي الشّروط التي تُحقّقُ الأفعال الإنجازيّة، إذ يؤكد (أوستين): " لكي يكون المنطوق منطوقًا أدائيًا ناجِحًا؛ لابدّ من أن يتمّ النّطق به في ظروفٍ ملائمةٍ "(آن روبول و جاك موشلار، 2003، ص. 33)؛ولنجاح أفعال التّقريرات والبوحيّات يشترط حيّازة المُتكلّم على شواهدٍ تُرجّحُ صِدق محتوى القضيّة التي يقرّرها؛ لهذا أسّس المرسِل خِطابَه على المعلومات المشتركة بين المتكلّم والمستمِع؛ وهي الشّروط الأساسيّة التي تتبني عليها

الأفكار والمقاصِد، فـ " من يقرّر فهو يعبّر عن اعتقاد ومن يعِد فهو يُعبّر عن نيّة، ومن يصدر أمرًا فهو يعبّر عن رغبةٍ أو إرادة " (الطبطبائي، 1994، ص. 22)،فهذه التّقريريّات والبوحيّات تجعل المُتلقي في جوّ من المقارنة بين حقيقة اللّغة العربيّة وما تقدّمه من قوّة الحجج، وبين المشكّكين من أهلها العرب،وما يقّدمونه من حُجَج واهيّة؛نجد ذلك في القسم الأول من الأبيات:[ب1؛ ب2؛ ب 3؛ ب4؛ ب5]؛فهي تمتلك شحنات حجاجيّة كثيفة من المنطق والواقعيّة في الطّرح؛بالإضافة إلى مصطلح الاستلزام الحِواري؛الذي ساعد على وضوح وفهم القصد.فقد أكثر المخاطِب من توظيف الأسلوب التّلميحي؛ خاصّة إذا علمنا أنّ " معظم الأساليب البلاغيّة تتوفّر على خاصيّة التحوّل؛ لأداء أغراضٍ تواصليّةٍ ولإنجاز مقاصد حجاجيّة ولإفادة أبعادٍ تداوليّة "(الحباشة،2008، ص.50)؛لهذا بدأ المُرسل في مطلع خِطابه بأقوالٍ استعاريّة :

[رجَعْتُ لنفْسِي فاتَّهمتُ حَصاتِي...]؛ [رَمَوني بعُقمٍ....]؛[ولدت ...وَأَدْتُ بناتِـي...] [وسِعتُ كِتابَ....]؛ [فكيف أضِيقُ اليومَ..]؛ [...سألوا الغواص عن صدفاتي]؛ فعمليّة الاستعارة لها وظيفة سدّ الثغرات التي تعتري عمليّة الاستدلال المنطقية، ولذلك لجأ المرسِلُ في كثيرٍ من الأحيان إلى التخيّل؛ لإنقاذ اتساق النّص المنطقي،ولاكتشاف ما لهذه الأقيسة البلاغيّة من طاقات حجاجيّة تعتمد على السلّم الحجاجي من الدرجة الأولى؛ الذي يعرّفه طه عبد الرحمن بأنّه:"عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال،مزودة بعلاقة ترتيبية وموفيّة بالشرطين التّاليين:

ـ كل قول يقع في مرتبة ما من السلم، يلزم عنه ما يقع تحته،بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميعا لأقوال التيدونه.

– كل قول كان في السّلم دليلا على مدلول معيّن ،كأنما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه....حيث تترتّب الحجج في الخطاب على أساس طاقتها الحجاجيّة، وقُدرتها على الإقناع ويقوم المُرسِل بترتيب الحجج على أساس دعمه الدعواه"(طه،1998.ص277)؛لكونها تتمتع بقدرة أكبر على التّعبير، وعلى إثراء المعنى؛ والتّخييل والتأثير على المتلقي من خلال الحجاج، والرّوابط الحجاجيّة، التي مكنّت المخاطِب من تبرير النّتائج التي وردت كرُدود أفعالٍ عن هجر أهل اللغة العربية للغتهم واتهامها بالجمود والتّخلف.

الحجة	الروابط الحجاجية	النتيجة
1_ رجعت لنفسي	ف	_ اتَّهمتُح َصـــاتِي
2_ رَمَوني بعُقمٍ ولـيتَني عَقِمتُ	ف	_ لم أجزَعْ لقَولِ عداتـي
3_ وَلَدتُ..... لعرائسي رِجالاً وأَكفاءً		_ وَأَدْتُ بنـاتِي
4_ وسِعتُ كِتابَ.....وعِـظاتِ.	ف	_كيف أضِيق اليوم... لمُخْتَرَعاتِ

لقد وظّف المخاطِب الأفعال الإنجازيّة الضّمنية أكثر من التّصريحيّة ؛ إذ لاحظ الباحثون أنّن تواصل بالأفعال الإنجازيّة غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازيّة المباشرة؛ خاصة إذا كان النّص نصّا أدبيًا؛لهذا استعان المخاطِب بالأسلوب غير المباشر؛ تمثل _خاصّةً_ في الاستعارة بأنواعِها التي تضمن الخصوبة الدّلاليّة للخطاب، وخاصيّة الالتباس في مدلولها، وتجعل المتلقي منخرطا ومندمجًا في حركة النّص الفكريّة والتّوجيهيّة، ومُساهِمًا فعّالا مع المُرسِل في إنتاج المعنى العام للخطاب؛ باستخدام مبدأ التّعاون الذي يساعد على فهم مقاصد المُرسِل. ولفهم هذه المقاصد يتطلب منّا تطبيق "مبدأ التّعاون (coopérativeprincipale) الذي يجري بين المُتكلّم والمُخاطَب، والذي أشار إليه (جرايسPaul Grice) " (نحلة،2002، ص.32) ،يمكن توضيحه في الشكل التالي:

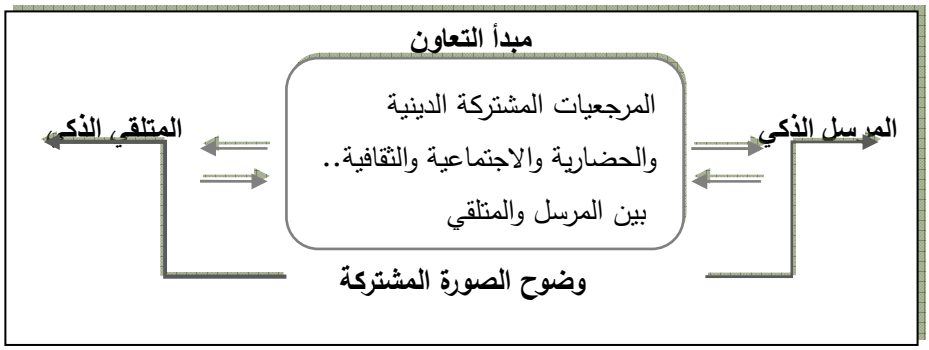

وبحكم وظيفة الخطاب الشّعري، فإنّ الاستعارة أميل إلى إعطاء معنى يتميّز بالدّقة والواقع؛إذ يعتمد المتكلّم والمتلقي في ما هو مشترك في العرف اللّغوي السّائد بينهما، بعد طمس الفروق الموجودة بين المشبه والمشبه به؛ ليأتي دور المتلقي الذي يعمل على اكتشاف وجه الشّبه؛ لإدراك المعنى المقصود وهو ما يسمّى بمبدأ التّعاون؛ وهو مبدأ يعتمد فيه على السّياق والثّقافة المشتركة بين المتكلّم والمخاطَب، للوصول إلى فكرة الباث.

فالمخاطِب قد أرسل أفعالا بوحيّة إنجازيّة؛ كردّةِ فعلٍ اتجاه شخصيّة المُرسل إليه وسلوكياته،انطلاقا من المعلومات المشتركة بينهما. وهي الشروط الأساسيّة التي تتكوّن من الأفكار والمقاصد، ف " من يقرّر فهو يعبّر عن اعتقادٍ، و من يعِدُ فهو يعبِّر عن نيّةٍ، و من يُصدر أمرًا فهو يعبّر عن رغبةٍ أو إرادة " (طبطبائي،1992، ص.70)،فالأفعال الإسناديّة الموجودة في القسم الأول المكوّنة من محمول هذه الأفعال[رجعت، اتهمت؛ ناديْتُ؛ فاحْتَسَبْتُ؛ عَقِمتُ ...]؛موضوعها الفاعل الذي يحيلُ إلى اللّغة العربيّة بالإشارةِ إليها بضمير المتكلّم المتّصل [ت]،بالإضافة إلى لفظة [نفسي]،التي تعود كلّها على اللّغة العربيّة

المُجسّدة في قول المُخاطِب؛ كمُرسِلٍ للخطاب، والتي تحمل دلالة الحسرة والأسى مما أصابها من جحود أهلها؛ لتردف بفعل بوحي إنجازيّ آخر موجّهٌ إلى أهلها:

_ رموني بعُقمٍ في الشَّبابِ وليتَني::::عَقِمتُ فلم أجــزَعْ لقَـولِ عِداتي

إذ دافعَت فيه اللّغة العربيّة عن نفسِها؛ بأنّها ليست عجوزًا عاقرًا حتّى تتهم ظلماً بالعُقم والجُمود وعدم قدرتها على التّعبير عن متطلبات العصر، على الرّغم مما تمتلكه بين اللّغات من الفصَاحةِ والبلاغة.تأسّس هذا الفعل البوحي التقريري على فعل إسنادي[رموني] وموضوع فاعلها [هم] الذي يعود علىالعرب المستهترين باللغة العربية، ثم ّأعقب ذلك بشحنة حسرة وتأسف لما آلت إليه هذه اللغة في قوله:[ليتني عَقُمْتُ فلم أَجْزَعْ لقَوْلِ عِدَاتي]؛ إذ تمنّت اللغة العربية لو كانت كذلك؛ حتّى لا تجزع فتحتمل قولَ أعدائِها .

لتتواصل نبرة الإحباط؛ فيضيف المخاطِب تقريرًا بوحيًا آخرَ موجهًا إلى أبنائها؛ وهي شحنةٌ مليئةٌ بالتّهكّم من سوء اتهامهم لها؛ لكون العجز فيهم، وليس في اللّغة العربيّة، موظِفًا الأسلوب التلميحي بزمني الماضي والحاضر في مشهد حزينٍ ومؤثرٍ، يظهر ذلك جليًّا في قوله:

_ وَلَدتُ ولمّا لم أجِدْ لعرائسي :::: رِجالاً وأكفـاءً وَأَدْتُ بنـاتِي

بدأها المرسِلُ بالاستعارة المكنيّة خاصّة وأنّطه عبد الرحمن يتفق مع النّظرة التداوليّة للاستعارة؛ بوصفها وسيلة للتّفاعل والحوار"(طه، 1998، ص ص.310_313)؛ إذشبّه اللّغة بالمرأة التي تلِد، فذكر المشبّه وحذف المشبّه به، وأتى بصفة من صفاته، ثم أنهاها بالاستعارة التّصريحيّة؛إذ شبّه المعجم اللّغوي الكبير، والثّروة اللّغوية الضّخمة للّغة العربيّة،بالمرأة الوَلود؛التي يمكن أن يتولّد عنها ألفاظ لا حصر لها؛ حذف المشبّه وترك المشبّه به [العرائس]؛ ولكون هذا الكنز الثّمين لم يجد من أهله تقديرًا؛بإظهار جمالها ومحاسن استخدامها، استدلّ عليه المخاطِب بكلمة [عرائس]؛ فكان لزامًا على المرسِل أن يوظّف الأفعال التّبريريّة في قوله: [وأدت بناتي]؛أي حَكَمَت اللغة العربيّة على نفسها بالدّفن؛ وهي حيّة في عُمرِ الرّبيع،وهي قوّة حِجاجيّة تحمل من التّعليل والتّبرير والحسرة ما يكفي لتنبيهِ المتلقي وتوجيهه، ثم أردفها بأفعالٍ تقريريّةٍ أخرى؛ قدّم فيها سلسلة من الحجج تبرّئ اللّغة العربيّة من هذه التّهم،وأنّ الخلل يكمن في أبنائها؛ ليصل المخاطِبُ إلى النّتيجة المقصودة من كلّ هذه التقارير والأفعال البوحيّة السّابقة في قوله:

_ أنا البحرُ في أحشائِهِ الدرُّ كَامِنٌ ::::فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي؟

يُعدّ هذا القول بمثابة مركز الخِطاب والنّتيجة النّهائيّة له؛وهو فعلٌ إنجازيٌّ غير مباشرٍ اعتمد في شطره الأول على الالتزاميّات (Commissives)؛ لما فيه من دلالة الافتخار بأنّ اللّغة العربيّة هي البحر الشّاسِع، وأنّها لازالت ملتزمة بذلك في الماضي والحاضر والمستقبل؛ لِمَا تحتويه من الدُّرَر والكنوز الثّمينة التي لا تنتهي، وهذا النّوع من (الالتزاميات)؛يهدف إلى التزام المرسِل (اللغة العربية) بدرجات

متنوعة؛بأنّه ملتزمٌ بإنجازه في الماضي ولازال يفعل ذلك في المستقبلِ؛مبنيّة على شرطِ الإخلاصِ والقُدرةِ الكبيرة على الوفاءِ، فإذا كانت اللّغة العربيّة كذلك، فهل سيلتزم أبناؤها بتطويرها والبحث عن مكنوناتها في قوله: [فهل سألوا الـغوّاص عن صدفاتي] ؛ وهو فعل طلب يتحقق بالاستفهام لفعل إنجازي تلميحي؛الغرض الدلالي منه الحث على البحث لاستكشاف كنوز هذه اللّغة؛ ولكون " القصد له دور مركزيّ في نظريّة الفعل الكلامي، فعلى السامع في هذه الحالة أن يبذل الجهد الكافي للوصول إليه؛ لِمَا للفعل اللفظي من وظيفةٍ في الاستعمال،ومن معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي..."(مانغونو، 2008، ص.7)؛ومنه فقد شبّه المرسِلُ في خطابِه العالِمَ باللّغة العربيّة بـ(الغوّاص)؛وشبه ألفاظ اللغة العربية بـ(الأصداف)؛ وهذا بمثابة تحدّ للمتلقي وبرهان على تقصيرهم في البحث قبل الحكم على ضعف اللّغة العربيّة؛ فضّلَ المرسِل في هذا التّعبيرِ استعمالَ المستوى التلميحي التأثيري من الصّور التشخيصيّة؛ وهو التشبيه البليغ الذي يقرب المعنى ويجسده؛ إذ عبّر المُرسِل بلسان اللغة العربية _ وهي تتحدث عن نفسها_ [أنا البحر]،والتشبيه من مكونات الصور البيانيّة الأساس الأكثر وُضوحًا ؛لأنّ العلاقة بين المشبّه والمشبّه به تدرك ببساطة؛ فهي تقوم على القيّاس و الاستنتاج المباشر؛ إذ يرى عبد القاهر الجرجاني، أنّ: " التّشبيه قيّاس، والقيّاس في ما تعيه القلوب وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان "(الجرجاني، 1988، ص. 15)؛لهذا كانت قدرة التّشبيه تتمثل في بناء علاقة بين عنصرين من عالمين مختلفين؛ للأديب المبدع خاصيّة قوّة الإدراك التي تمكّنه من اكتشاف العلاقات بين الأشياء المتباعدة، كما هو موضح في مايلي:

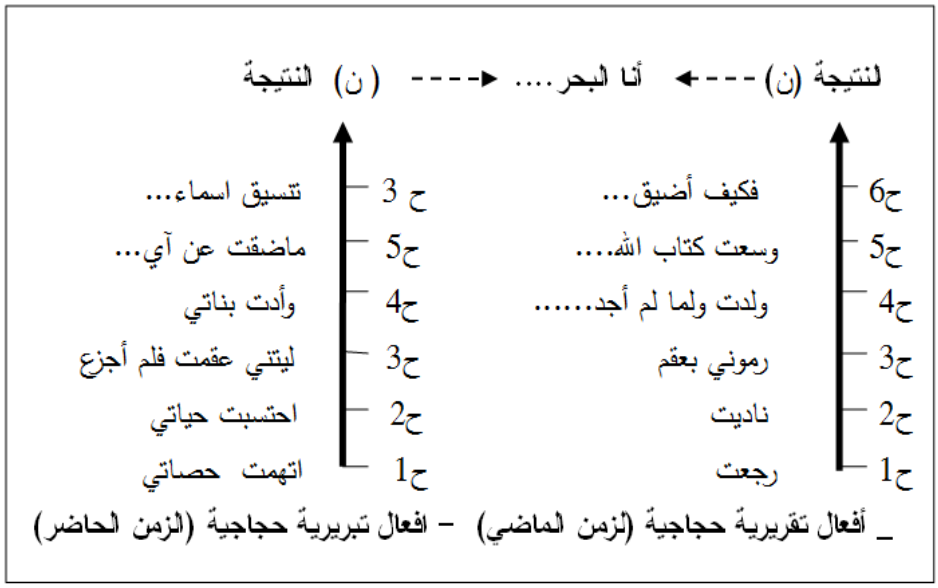

وبهذا استطاع المخاطِب أن يسرد تقريرًا مفصّلًا عن الوضع السّائد والأسْود الذي تعاني منه اللّغة العربيّة وسط أهلها؛ حتّى تتّضح للمتلقي الصّورة والرّؤية؛ فتنبّهه إلى خطورة الوضع الذي يهدّدهم.

ينتقل المُرسِلبعد أن أحسّ بتحقيق أهداف التّقارير الحجاجيّة السالفة الذّكر، إلى القسم الثاني من الخطاب في الأبيات:[ب7؛ب8؛ب9؛ب10؛ب11]مستخدمًا أفعال التوجيهيات (Directives): وهي من مستلزمات ومتطلباتِ عناصر الوعظ والحضّ،إذ وردت في ترتيب حجاجي منطقي قائلا:

_ فيا وَيحَكُم أبلى وتَبلى مَحاسِـني::::ومنْكمْ وإنْ عَزَّ الدّواءُ أساتِي

فقد توجه المرسِل إلى مخاطبيه بأسلوب مشحون بالحسرة والألم: [يا ويحكم...]، مخاطبًا المتلقي باستدعاء فعل إنجازي وهو الدعاء والغرض منه التنبيه والتوبيخ على شيء عظيم استهتروا به؛وذلك لاستمالة المتلقي والتأثير فيه،مستخدمًا إستراتيجية حَصْر مخاطبيه بين رُكني المقارنة والمفاضلة؛لإبراز غاياته ومقاصده التي تحمل الكثير من دلالات التّوجيه والنّصح، وهو أسلوبٌ غاية في الحجاج والتأثير.وبعد هذه التقارير الصادمة للمتلقي، يحق للمخاطب أن يطلبَ الهدف ويحقق الغاية؛ خاصّة وأنّ النّفوسَ مهيأة لتقبّل النّصيحة، ومحو ما أوقعوه من جُرمٍ في حقّ هذه اللّغة؛ مستخدمًا أفعال التوجيهيات (الأمريات Directives)؛الهادفة إلى تحقيق القصد وإنجازه؛ بتوجيه المرسل إليه لأن يفعل شيئا ما من أجل حماية اللّغة العربيّة، خاصّة وأنّ " القصد له دور مركزيّ في نظريّة الفعل الكلامي (مانغونو، 2008، ص.7)،الذي يتحقق بتوظيف توازن بين أفعال اللّين والإغراء والاقتراح و النّصح، وبين أفعال العنف والشّدة كما في قوله:

_ فلا تَكِلُوني للزّمانِ فإنّـني::::أخافُ عليكم أن تَحـينَ وَفاتي

الطرح	الروابط الشرطية	الحجـة
فلا تَكِلُوني للزّمانِ	فإنّـني	أخافُ عليكم أن تَحـينَ وَفاتي

فقد اعتمد المخاطِب على الفعل الإسنادي: [فلا تَكِلُوني] المتمثل في الجملة الفعلية المكوّنة من محمول هذا الفعل، وموضوعه الفاعل الذي يحيلُ إلى العرب (أهل اللغة العربية)؛ بالإشارةِ إليهم بالضّمير المتّصل[الواو] في الفعل [لا تكلوني]، بالإضافة إلى الإحالة بالضمير [ي] على الشاعر كمرسل للخطاب، الذي نهى عن إيقاع هذا الفعل عليه، والغرض منه النّصح والوعظ والإرشاد.

أمّا الفعل الدّلالي فقد تكوّن من قضيّة تتشكّل من استهتار العرب باللغة العربية واتهامها بالعجز والضّعف، وذلك بإتباعهم اللغات الغربيّة أو استخدام العاميّة، مما استدعى الاستلزام المنطقي المتمثل في ما قدمه المخاطِب على لسان اللغة العربية من تقرير مفصل عما تعانيه هذه اللغة من نكران للجميل .

يواصل المرسِل في خفض الاحتقان بينه وبين المرسل إليه؛ بتقديم مسحة عاطفية أبويّة [أخافُ عليكم...]، لما تمثله هذه العبارة من حلقات للوصل الدلالي،في تعاون المخاطِب مع المتلقي؛ فيظهر بصورة الأب

الحريص على أبنائه من مغبّة الضّياع.فاستخدام هذا الأسلوب؛ هو بمثابة شحنات حجاجيّة ورسائل إيحائيّة؛ تهدف إلى إنجاز أفعال وتحقيق أغراض سواء أكانت إخبارًا أم أمرًا أم نهيًا أم نداءً، وهذا يَنمّ عن تنوعِ الأحداثِ واختلاف الظّروف، ومن ثمّ تعدّد الأهداف في هذا الخطاب. وبغض النّظر عن تحقّق هذه الأفعال أم عدم تحقّقها،يكفي أنْ يتلفظ المتكلِّم بفعل كلامي،لنقول:إنه يراد به إنجاز فعل ما.

إضافة إلى ما تحمله هذه الأساليب غير المباشرة من شحنات حجاجيّة وتوضيحيّة؛ خاصّة إذا كانت مدعمة بالرّوابط الشّرطيّة وأدوات التّوكيد.

وبعد أن أفرغ المرسِل كل الشّحنات الحجاجيّة في الأفعال التقريريّة والتّوجيهيّة السّابقة؛ يعود مرة أخرى إلى التعبيريات في قوله:

_ أرى لرِجالِ الغَـربِ عِزّاً ومَنعَة::::وكم عَزَّ أقــوامٌ بعِزِّ لُغاتِ

_ أتَوْا أهلَهُم بالمُعـجِزاتِ تَفَنُّناً::::فيا ليتَكُمْ تأتــونَ بالكلِمَاتِ.

فقد قدّم المرسِل التقريرَ ثم أردفه بفعل إنجازيّ؛ وهو التّمني [فيا ليتَكُمْ]؛ فأخذَت بذلك بُعدًا تداوليًا؛ الغرض منه التوبيخ،الذي اتّضح عن طريق المفاضلة بين ما توصّل إليه الغرب من صناعة قويّة في حينعجزالعرب عنِ الإتيان بمجرد كلمات؛ليستمر المخاطِب في التّصعيد من التّوبيخ والتّحقير؛ لغرض شحذ الهِمم، مُقارنًا إياهم بالأمم الأخرى، في مشاهدٍ من العجز والضّعف ومُعتمدًا على الرّوابط الحجاجيّة التي تفيد التّوكيد والإثبات، وتقويّة الحِجاج. يمكِن تفصيلها على الشّكل التّالي:

_ تقرير عن حالة سلوك المناوئين للغة العربيّة: الحجة (ح1)

ق1- [فلا تَكِــلُوني للــزّمانِ]

ق2_ [أرى لرِجالِ الغَربِ عِزّاً ومَنعَة]

ق3_ [أتَوْا أهلَهُم بالمُعجِزاتِ تَفَنُّنــاً]

_ حجة اللغة العربية : الحجة (ح2)

ق1- [أخــافُ عليكم أن تَحــينَ وَفاتي]

ق2_[فيا ليتَكُمْ تأتـــــونَ بالكلِمَاتِ]

ق3_[كم عَزَّ أقـــــــوامٌ بعِزِّ لُغاتِ]

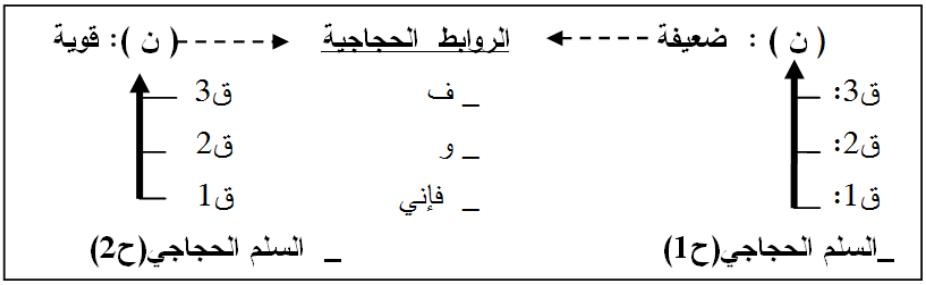

لقد قدّم المرسِل أفعالاً تبريريّة عن حجج المناوئين لّلغة العربيّة (ح1)، ثم أردفها بسلسلة من البراهين والإقناع، هي بمثابة حجة اللغة العربيّة (ح2)؛ كنتيجة مضادة (ن م)؛ لأنها من أقوى الحجج وهي التي توجّه موضوعَ الخِطاب برمّته نحو التأثيرِ في المتلقي.

بذلك اتضحت الصورة للمتلقي؛ مستخدما آلية السّلالم الحجاجيّة من خلال حروف العطف للإثبات والتّأكيد بوجود هذه الأفعال التقريريّة؛ بأساليب كنائيّة تحفّز المُخاطَب على بذل طاقةٍ إضافيّة في استثمار الكفاءة التأويليّة للمخاطَب الذّكي؛ لفهم قصده،ولاختبار كفاءته التأويليّة والاستنتاجيّة، من خلال اكتشافه للمتضمّن في القول حين انطلاقه من السّياق الذي وردت فيه العبارة، وهذا ما يطلق عليه (غرايس) مصطلح الاستلزام الحواري، إذ" يصف ما ينبغي أن يكون بين المرسِل والمُتلقي،لا ماهو كائن بالفعل في مجمل الحوارات والتّفاعلات الإنسانيّة " (مزيد، 2010، ص.40)، نوضّح ذلك في الجدول الآتي:

حجة (فعل الشرط)	روابط الشرط	حجة (جواب الشرط)	الهدف
_ رَجَعْتُ لنفْسِي	ف	اتَّهمتُحَصاتِي	توليد قيم حجاجية تؤثر في العقل وعاطفة المتلقي فيذعن للمرسل؛ فيغير تصوره إلى تصور المرسل.
_ ناديْتُ قَوْمِي	ف	احْتَسَبْتُ حياتِي	
_ اتهموني..الشَّبــابِ	ف	لم أجزَعْ لقَولِ عِداتي	
_وَلَدتُ ولمًا.. لعرائسي		_ وَأَدْتُ بنـــاتِي	
_ أنا البحر في أحشائه الدر كـامن ...	ف	_ هل سألوا الـغواص عن صدفاتي	

خاتمة:

استطاعت المقاربة التداوليّة بهذه الإجراءات المبسّطة والميسّرة، من الوُلوج إلى البنيتين الخارجيّة والداخليّة؛ لفهم الخطاب الأدبي وأبعاده اللّغوية والأدبيّة؛ كما يمكن القول:إنّ التّداولية قد نجحت في سدّ العديد من الثّغرات التي عجزت عنها النظريات اللّسانيّة والبنيويّة،وغيرها من المعارف اللّغوية السّابقة، إلّا أنّ ما يجب معرفته أنّ التّداوليّة، على الرغم من كل ما تمتلكه من إجراءات ومفاهيم متطورة؛ لا يمكن لها

أن تستغني عن النّظريات والحقول المعرفيّة الأخرى بما فيذلك البلاغة العربيّة،حين يتعلق الأمر بلغتها،فكل هذه المعارف هيروافد تكامليّة للتداوليّة.

تكمن قوّة تأثير النّص الأدبي على المُتلقي؛فيقوّة ورفعة الأساليب اللغوية و التبليغيّة المؤسّسة على إستراتيجية الإقناع؛ والتي يمكن حصر مكوناتها في اعتماد المتكلِّم على وسائل الإقناع اللّغويّة والبلاغيّة والرّوابط الحجاجيّة بمختلف أنواعها مع توظيفها حسب مقتضى الحال،بالإضافة إلى مهارة التحليل والابتكار، والتّعبير والعرض المنظّم للأفكار، ومهارة الضّبط الانفعالي، وفهم دوافع نقد الآخر .

عملت الإشاريات في الخطاب على تقريب المرسَلِ إليه من المرسِل، من خلالالمعرفة المشتركة والتعاون الثقافي والاجتماعي والفكري بينهما، ساعد كل ذلك على تأسيس الحجاج والإقناع في النص الأدبي .

قائمة المراجع:

– آن روبول و جاك موشلار.(2003)، التداولية اليوم "علم جديد في التواصل" ، ترجمة : سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

– بهاء الدين محمد مزيد.(2010)، تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط 1، شمس للنشر والتوزيع ، القاهرة .

– جون أوستين.(1991)، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام " ترجمة : عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء.

– ج . ب . براون، ج . يول.(1418ه)، تحليل الخطاب، ترجمة:منير التريكي، ط1، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود،الرياض.

– حافظ إبراهيم.(1987)،ديوان شعري،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة.

– حسن عباس.(2003)، النحو الوافي، ط3، دار المعارف، القاهرة .

–مانغونو دومنيك.(2008)،المصطلحات والمفاتيح لتحليل الخطاب،ترجمة : محمد يحياتن، الدار العربيّة للعلوم، منشورات الاختلاف،الجزائر.

– طالب سيد هاشم الطبطبائي.(1994)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،منشورات جامعة الكويت،الكويت .

– طه عبد الرحمن.(1998)،الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

– صابر الحباشة.(2008)،التداولية والحجاج،مداخل ونصوص، مركز صفحات للدراسة والنشر،دمشق.

–عبد القاهر الجرجاني.(1988)، أسرار البلاغة في علم البيان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

– عبد الهادي بن ظافر الشهري.(2004)،استراتيجيات الخطاب_ مقاربة لغوية تداولية ،ط1،دار الكتاب الجديد،بيروت.

– فرانسواز أرمينكو.(1986)، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش،مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد،دمشق.

– خوسيه ماريا.(1992)، بوثويلو إيقانكوس،ترجمة: حامد أبو حمد،مكتبة غريب، سلسلة الدراسات النقدية،القاهرة .

– محمد العمري.(1999)،في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط1،إفريقيا الشرق ،المغرب .

–محمود أحمد نحلة.(2002)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية.

– محمود جاد الرب.(1985)،علم اللغة، نشأته وتطوره، ط1، دار المعارف ،القاهرة.

– مسعود صحراوي.(2005)،التداولية عند علماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1،دار الطباعة للنشر والتوزيع ،بيروت.